

وجبة المسردين !

من أهجب مظاهر الحياة الحيوانية التي تحدث في الطبيعة، وتحمل للإنسان دلائل هامة بعضها سياسي وبعضها أخلاقي تلك الموجبة المضخمة من المسردين الذي يتکاثر في البحر الواسعة والمحيطات، ويبلغ مرحلة يحين فيها صيده من جانب عدة أنفواه مفترسة من بينها الإنسان!

وتتمثل مشكلة المسردين في أنه سمكة ضعيفة، لذلك فإنها تتجمع في مجموعات هائلة ، ظنا منها أنها بهذا التجمع تكون أقوى، وتحمي نفسها من الأعداء..

وبالمطبع ما أشرس أعداء البحر! وأول هؤلاء الأعداء وهى "الدلافين" المٽى تجد فى المسريدين وجبة لذٰيذة جداً، وتنتظر تجمعاتها فى موسم محدد، ثم تقوم بدفعها إلى المكان الذى تستطيع المتّهامها فيه، ويتظل بحركاتها المعهودة ترقص بجانبها، وتستدير حولها، ثم تدخل فى عمقها وتقتنص ما تستطيع استيعابه منها. وكل ذلك يحدث فى حركات سريعة وانسيابية.

لكن "الحيتان": وهى فى الأصل من أكبر أعداء الدلافين ما تلبث أن تشم رائحة الموليمة، فتسرع بالاشتراك فيها بنفس القدرة والمهارة.

وهنا يظهر وضع عجيب: وهو أن الحيتان المٽى تتناول وجبتها الدسمة من الدلافين، لا تلقى لها بما فى تلك الحالة، بل إنها تتكاّتف معها، أحدهما من الأعلى والآخر من الأسفل لكي يحظى بنصيبه من المسريدين، بل من الأعجوبة أن "عجول البحر" المضخمة لا تتردد هي الأخرى فى الاشتراك بالموليمة، غير عابثة بأنفاس الحيتان المٽى تنغرس عادة فى لحومها المكتنزة!

ويمكّنا يشتراك ثلاثة أعداء فى وقت واحد فى التّهام المسريدين المسكين، المٽى لا يجد له مهرباً سوى الماقتراب من الشواطئ، فماذا يجد هناك؟ يجد "الإنسان" قد أهد له الشبال الكبير لكي ينتشله من الماء إلى الأقفال، ومنها إلى السوق!!

ومع ذلك فإن هناك طرفاً خامساً، يهبط من الجو بسرعة مائة كيلو فى الساعة، وهى تلك "الطيور" المٽى تعودت أن تغوص فى الماء على بعد ثلاثين متراً ثم تلتقط فى منقارها سريدينة وتصعد بها للهواء.

إذن فقد أصبح لدينا خمسة أعداء، عادة ما يتربص كل منهم بالآخر معظم الوقت، لكنهم تركوا عداوتهم مؤقتاً لكي يحصلوا على تلك الموجبة الشهية من المسردين. ومن نعمة الله أن المسردين متواضف بأعداد هائلة، بحيث يكفي الجميع. فهل يمكن للإنسان أن يفكر جيداً في دلائل هذا المشهد، وأن يستخلص منه المأبعاد السياسية والأخلاقية التي قد تساعد في اتخاذ القرار الصائب في مختلف المواقف المصعبة التي يتعرض لها. ومن أهم تلك الدلائل أن الضعف إذا تحالف مع ضعيف مثله لن ينتج عندهما إلا ضعيف مركب، وأن الأعداء قد يتغاضون عن عداوتهم مؤقتاً من أجل تحقيق مصلحة سريعة و مباشرة لكل منهم، وأخيراً فإن نظام العالم قائم على "المدافعة" التي لا بقاء فيها إلا للأقوى!